الْمَنْحَى الْلِّسَانِيّ الْعِرْفَانِيّ فِي نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ لِعَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيّ قِرَاءَةٌ فِي التَّصَوُّرَاتُ الْفِكْرِيَّةُ لِلْعَلَاقِةِ التَّخَاطُبِيَّةِ؛ بَينَ الْمُتَكَلِّمِ وَالسَّامِعِ

د. عبد الرحيم البار جامعة محمّد الصّديق بن يحي جيجل

الملخّص:

من مجالات البحث في اللّسانيّات العرفانيّة[1] دراسة علاقة اللّغة بالذّهن، أو البحث في مدلول الكلام الفكريّ؛ سواء كان من جهة المتكلّم، أو من جهة المتلقّي، فلا غرو من أنّ الكلام السّليم لا يأتي من عشوائيّة مطلقة ولا من اعتباطيّة مُفْرَغَة، بل هي أفكار منتظمة في ذهن المُخَاطِب؛ ليجري لسانه محمّلا بدلالات أفكاره المقصودة؛ ضمن سياقها الاستعماليّ، ونقف في هذا المقال؛ وصفا وتحليلا لدلالات الجانب الفكريّ في رسم صور التّواصل اللّغويّ بين المُتَخَاطِبَين (المتكلّم والسّامع)، ونبحث في صور هذا المجال الحديث في المخزون اللّغويّ العربيّ النّفيس؛ بخاصّة ما جاء به عبد القاهر الجرجانيّ في وصف العلاقة الكلاميّة بين المُخَاطِب والمُخَاطَب.

–**الكلمات المفتاحيّة:** اللّسانيات العرفانيّة، الخطاب، النّظم، الجرجانيّ.

-Summary: *One of the areas of research in the disciplinary linguistics is research in the meaning of intellectual speech, whether it is on the part of the speaker, or on the part of the recipient, sound speech comes from regular thoughts in the addressee's mind; we stand in this article; a description and analysis of the connotations of the intellectual side in the statement of communication pictures Linguistically between*

[1]–اللّسانيات العرفانيّة: "هي الدّراسة العلميّة المنتظمة للألسن البشريّة من خلال الوحدات والتّرتيبات المسؤولة عن تنظيم العمليّات الإدراكيّة"، ينظر، عبد الكريم جيدور الّسانيّات العرفانيّة ومشكلات تعليم اللّغات واكتسابها، مجلّة العلامة، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد5، ديسمبر، 2017م، ص303.

(the speaker and the listener), and we discuss in the images of this modern field in the Arab linguistic heritage; especially what was mentioned by Al-Jarjani in describing the verbal relationship.

-***Key words:*** *cognitive linguistics, discourse, meaning, al-Jurjani.*

(1)-وصف عامّ للنّظريّة اللّسانيّة العرفانيّة: ارتبط ظهور المنحى اللّسانيّ العرفانيّ[2] بأعمال لغويين غربيين كان لهم اهتمام بالغ بدراسة علاقة اللّغة بالذّهن، وكان من خطواتهم العلميّة الأولى بأن عدلوا عن الاتّجاه اللّغويّ التّقليديّ الذي لم يخرج عن الدّراسات التّاريخيّة، وتفسير ظواهرها اللّغويّة تفسيرا سطحيّا شكليّا لا يتعدّى حدود البنية اللّفظيّة ولهذا كان شغلهم الشّاغل البحث في العلاقات التّرادفيّة بين الدّلالات اللّغويّة التّواصليّة، وبين ما تُوْحِيهِ مدلولاتها الفكريّة؛ التي تشكّل صورة الانطباع المعرفيّة لدى المتخاطبين، فكان لهذا الاتّجاه اللّسانيّ حلقات لغويّة أبرزها: (الجمعيّة الدّوليّة للعلوم العرفانيّة: **ICLA**). ومن رواد هذا المنحى اللّسانيّ الهادف؛ نجد: 'جيل فوكونييه **G. Fauconier** ورواي جاكندوف **R. Jakendoff** وشارل فيلمور **Ch. Fillmore**، وجورج لايكوف **G. Lakoff** (1981، 1987م) الذي اهتمّ بدراسة البعد الدّلاليّ للصّور البيانيّة للجملة المتمثّلة في عنصري الاستعارة (**Metaphor**) والكناية (**Metonymy**). ورونالد لانغاكير **R .Langacker** (ت1987م) الذي اهتمّ بدراسة النّحو العرفانيّ (**Cognitive Grammar**)'[3]، إضافة إلى أعمال أخرى تصبّ في هذا المجال العلميّ.

فاللّسانيات العرفانيّة؛ كنظريّة لسانيّة ذات توجّه حديث هي بخلاف عن كثير من النّظريّات اللّغويّة الأخرى كونها منفتحة عن كثير من العلوم الأخرى ذات الطّباع

---

[2]-العرفانيّة نهج في التّفكير عرف منذ منتصف السّبعينيّات من القرن العشرين، ولعلّ بوادره كانت في علم النّفس والفلسفة، ومنها سرت مبادئه إلى علوم أخرى منها اللّسانيّات، ينظر، منانة حمزة صفاقسي، الدّلالة العرفانيّة الإدراكيّة وتراجع دور التّركيب (الإعراب في إنتاج الكلام وتأويله)، مجلّة اللّسانيّات العربيّة، مجلّة علميّة محكّمة تصدر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّوليّ لخدمة اللّغة العربيّة، العدد2، ذو القعدة1436هـ، سبتمبر2015م، ص86.

[3]-هؤلاء اللّغويّون تعود إليهم البوادر الأولى في تنشئة هذه الحقل المعرفيّ الحديث.

الإنسانيّ والعلميّ على نحو: علم النّفس، والأنثربولوجيا[4] الحاسوبيّة وعلوم التّربيّة، وهي غيرها؛ فهي تبحث عن كلّ معرفة ذات صلة بالفكر اللّغويّ الإنسانيّ.

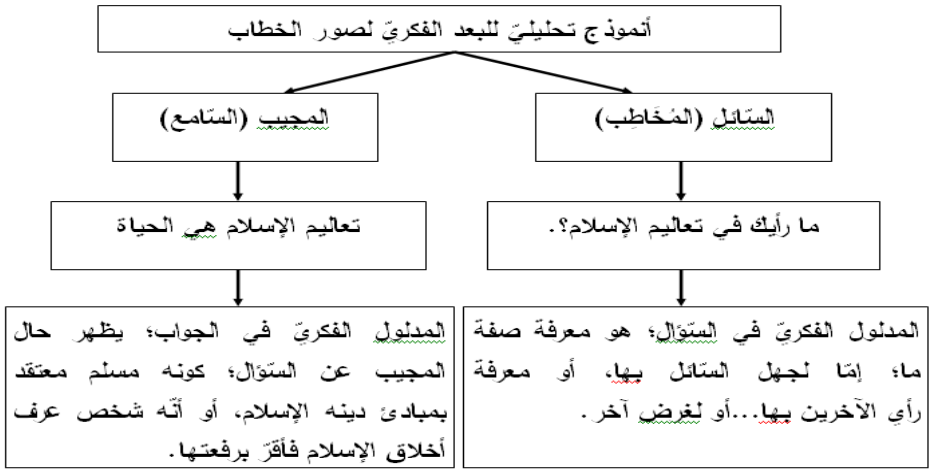
(2)-البعد الفكريّ في الخطاب اللّسانيّ: إنّ الوقوف على الجانب العرفنّي في الخطابات اللّغويّة يقتضي الغوص في غور معاني الكلام المستعمل؛ لاستخلاص كلّ دلالات الفكر المستترة في ظلّ ألفاظه، ولهذا فإنّ لغة الخطاب على اختلاف مستوياتها؛ فهي نابعة من سق فكريّ معرفيّ يوجّه طابع الخطاب الاستعماليّ الذي ينتهجه المتكلّم في كامل رسائله التّواصليّة؛ فلا تنتظم جملة لغويّة إلّا بعد إنْ كانت فكرة سبقت ذلك الشّكل التّركيبيّ اللّغويّ[5]، فلو قلنا أنّ جواب السّائل عن سؤال: ما رأيك في تعاليم الإسلام؟. فلا غرو من أنّ جوابه هو تعبير عمّا يرتسمه من تصوّرات، وعمّا يؤمن به من معتقدات، فلا يحيد تلقائيّا عن فكره، ولا يخرج عن فهمه، فهو ينقل بخطابه الكلاميّ ما يراه مناسبا لذلك الموضع من الحوار[6]. ولنا في هذا المخطّط الاستبيانيّ أن أوضّح علاقة الفكر بالكلام من خلال ذلك المثال المقدّم:

---

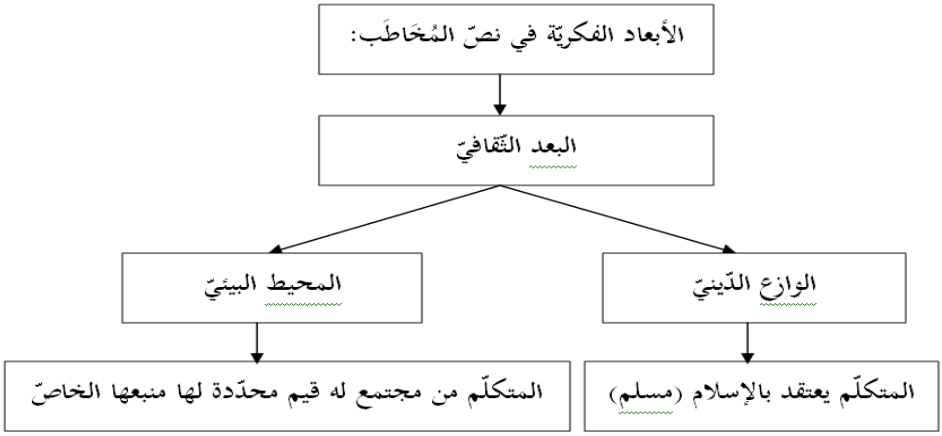
[4]- اشتُقت المفردة الإنجليزية "Anthropology" من كلمتين يونانيتين هما: أنثروبوس "Anthropos" ومعناها "الإنسان" ولوغوس "Locos" ومعناها "علم"، بذلك أصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ: علمُ الإنسان، أي العلم الذي يدرس الإنسان، ينظر، عيسى الشمّاس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريّة 2004، ص8.

[5]-الشّكل اللّغويّ نقصد به تلك الأنماط الكلاميّة المختلفة من الأداء اللّغويّ؛ كأساليب الإنشاء والخبر.

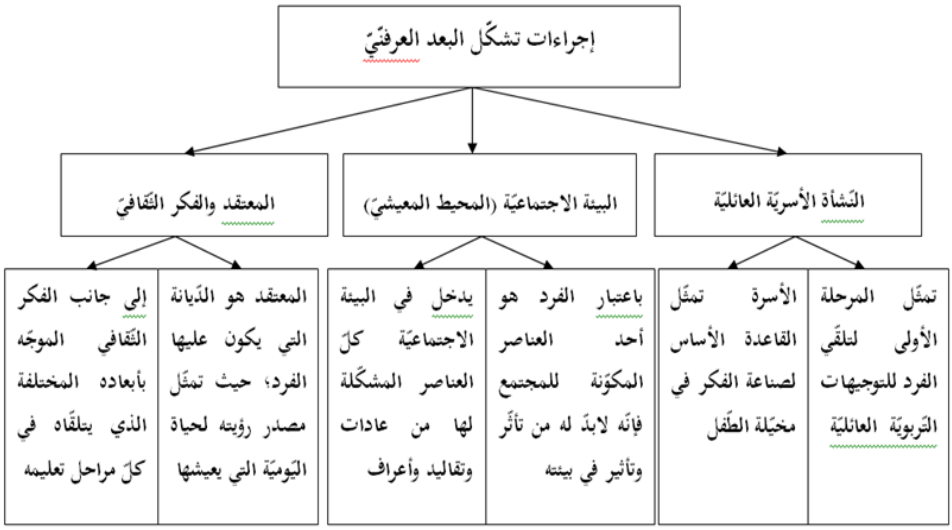
[6]-المقصود به أسلوب الحوار الذي يدور بين المتكلّمين والمتواصلين.



***تحليل ووصف المخطّط التّمثيليّ:** ندرك أنّ لمعاني الكلام بكافّة أنماطه إيحاءات فكريّة تعبّر عن الوازع المعرفيّ والمعتقد الإيمانيّ وتكشف الصّورة البيئيّة الاجتماعيّة للفرد المتكلّم، ففي المثال الذي ذكرناه نستطيع الخلوص إلى أنساق فكريّة من خلال الحوار الذي دار بين الطّرفين المُتخاطبين، فنقف عند جواب المُخَاطَبِ: تعاليم الإسلام هي الحياة فحين نحلّل الأبعاد الفكريّة لهذا التّعبير، فإنّها تظهر لنا التّصوّرات المشكّلة للذّات الفرديّة وسنقوم بعرضها وفق الآتي:



(3)-خطوات تشكّل الجانب العرفانيّ في حياة الفرد: لابدّ أنّ لدلالات الكلام الفكريّة من مراجع تشكّل تلك الصّور الإيحائيّة التي تصنع الجانب القاعديّ الفكريّ الذي ينطلق منه كمنهج له في خطاباته التّواصليّة:



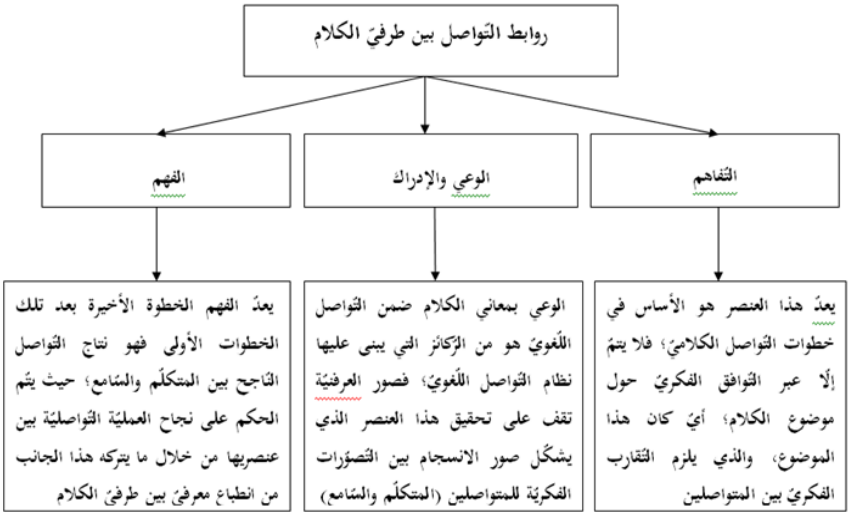
***تحليل ووصف المخطّط التّوضيحيّ:** إنّ كلامنا على العرفانيّة، يقتضي معرفة نسق هذا العلم الخاصّ من حيث مكوّناته وخصائصه؛ فباختصار نقول: أنّه جملة الأفكار والمعارف التي توجّه سلوك الإنسان؛ سواء كان سلوكا كلاميّا أو سلوكا فعليّا[7]، ولكن قبل أن تكون أفعالا قوليّة؛ فهي أفكار منسوجة في ذهن المتكلّم؛ مصادرها متنوّعة بحسب ظروف الحياة المختلفة؛ كما ذكرنا في المخطّط؛ فهناك مصادر ذاتيّة فرديّة مصدرها التّكوين الأسريّ العائليّ[8]، وهناك التّربية والتّعليم، وكلّ مراحل التّدريس، وهناك آثار البيئة الاجتماعيّة وعوامل أخرى كالسّياسة والثّقافة وعوامل أخرى[9].

[7]-أي أنّ كلّ ما يصدر من سلوك سواء قولا أو فعلا له خلفيّة ذهنيّة انطلق منها

[8]-باعتبار الأسرة المحطّة الأولى التي ينطلق منها تكوين شخصيّة الفرد.

[9]-هناك عوامل مؤثّرة على تكوين الجانب المعرفيّ منها الجانب الثّقافيّ الاجتماعيّ والسّياسيّ.

(4)–صورة التّواصل ونمطيّة التّفكير بين المتكلّم والسّامع: لا يتمّ التّواصل بين فردين إلّا بشروط محدّدة نذكر منها على جهة الأساس: التّفاهم والفهم والإدراك والوعي؛ فكلّها تسهم في بناء الرّابط التّواصليّ بين المتخاطبين (المتكلّم والسّامع)، وهي أيضًا عوامل تشكلّ التّصوّر الفكريّ المشترك بين طرفيّ الكلام في الخطاب[10] الكلاميّ، ونقف على شرحها، وفق الأنموذج التّخطيطيّ الآتي:



***تحليل ووصف المخطّط التّوضيحيّ:** روابط التّواصل بين الأفراد والجماعات لها مقوّماتها التي تنطلق منها فهي تمثّل الجانب المشترك بين في الخطاب الكلاميّ، وكذلك فهي تمثّل المستوى العرفانيّ المتلاحم بين المتكلّمين (المخاطب والسامع) فلا تواصل معرفة، ولا تقارب في الفهم دون تصّور معرفيّ مشترك ومتلاحم ولهذا فإنّ الإدراك والفهم والوعي والاستيعاب والموازنة الفكرية بينهما لها أثر في إنجاح التّواصل الجيّد.

---

[10]– الخطاب هو "الكلام الذي يقصد به الإفهام...إفهام من هو أهل للفهم...و الكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع (المُخَاطَب)، فهو لا يسمى خطابا" ينظر، محمّد علي التّهانويّ، كشّاف اصطلاحات الفنون، تحقيق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج2، ص6.

بعدما قمنا بتقديم إحاطة عامّة ومفصّلة حول الجانب العرفنّي بين المتكلّم والمستمع، وبعدما عرضنا الأنساق الفكريّة للجانب العرفانيّ عند المتكلّم نأتي في هذه السّياق إلى استخراج وجه المشابهة بين هذا التّوجّه اللّسانيّ الحديث، وبين ما توصّلت إليه نظريّة عبد القاهر الجرجانيّ النّحويّة (ت471هـ)[11] في تحليله ودراسته للعلاقة التّخاطبيّة عند المتكلّم والسّامع ضمن عمله (نظريّة النّظم)[12]، فلابدّ من وجود وجه مقاربة بين النّظريتين من جوانب عدّة سنأتي على ذكرها.

(5)-رؤية الجرجانّي النّحويّة في تحليل العلاقة التّخاطبيّة: العلاقة الكلاميّة بين المُخَاطِبُ والمخَاطَب؛ لها أثرٌ ظاهر في تحديد معانيّ الكلام، ففي هذا الجانب نبحث في العلاقة بين قنوات التّواصل اللّغويّ (المتكلّم، المتلقّي)، خاصّة ما يرتبط بـ"وظيفة الاتصال والتّواصل –ويدخل في هذا الجانب– وظائف الخطاب منطوقا أو مدوّنا و– معرفة– درجات التّلقّي لدى المخاطب...وفقا لمقتضيات مقام الكلام وسياقاته؛ حيث ترتقي لغة التّواصل ليس فقط للتّبليغ...وإنّما لما يسمّى بالإبلاغيّة في التّواصل التي تعني درجة معيّنة من التّأثير في المتلقّي"[13]، ولهذا يلتفت علماء اللّغة إلى النّظر في دراسة الإسناد انطلاقا من علاقته التّواصليّة الإنجازيّة ولعلّ هذا ما أدركه شيخ البلاغة عبد

---

[11]-عبد القاهر الجرجانيّ (400-471هـ/1009-1078م) عالم بالدّين واللّغة صاحب كتابي دلائل الإعجاز في علم المعاني وكتاب أسرار البلاغة في البيان.

[12]-إنّ نظرية النّظم من أهم النّظريات في البلاغة العربيّة، ومعنى النّظم في اصطلاح اللّغويين تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النّحو؛أي الإتلاف والانتظام. وقد عرّفها صالح بلعيد في كتابه نظرية النظم،هي: ((التأليف والتنظيم والترتيب والجودة ومن ذلك صُنّف النّظم في علوم البلاغة باعتباره يسعى إلى رصف الكلمات وترتيب جودتها، وفي حسن التخيّر ومعرفة الموقع المناسب))، دار هومه للطّباعة والنّشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2004م، ص134.

[13]-ينظر، يوسف وسطاني، الإسناد في نمطيه النّحويّ والبلاغيّ، مجلّة التّراث العربيّ، مجلّة فصليّة محكّمة، إتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريّة، العدد114 (1430هـ، 2009م)، ص208/207.

القاهر في حديثه عن توّخي معاني النّحو؛ فقد أولى اهتماما بالغا بالرّوابط اللّفظيّة المنصهرة في عملية الكلام بين المتكلّم (المُخَاطِب) والمتلقّي (المستمع) وهكذا تكمن أهميّتهما كعنصرين رئيسين في شرح علاقات الإسناد المتداخلة، ونشرح ذلك، فيما يلي:

يشير الجرجانيّ إلى دور العلاقة بين المُخَاطِب والمُخَاطَب في استقامة معاني الكلام وإيضاح صورته المعنويّة، ولعلّ هذا من أسس توخّي معاني النّحو بعد نظمه على منواله السّليم؛ وهذا ما نلمسه في جانب من حديثه عن معاني الكلام: "اعلم أنّ معاني الكلام كلّها معان لا تتصوّر إلا فيما بين شيئين، والأصل والأوّل هو 'الخبر'. وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع"[14]، فالمقصود من عبارته 'معاني الكلام' الخبر المحمول في لفظ المتكلّم المقصود إلى المستمع المتلقّي للخبر، ثمّ يضيف: "ومن الثّابت في العقول والقائم في النّفوس أنّه لا يكون خبرا حتّى يكون مخبرا به، ومخبر عنه لأنّه ينقسم إلى إثبات ونفي، والإثبات يقتضي مثبّتا ومثبّتا له، والنّفي؛ يقتضي منفيّا ومنفيّا عنه. فلو حاولت أن تتصوّر إثبات معنى، أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبّت له ومنفيّ عنه؛ حاولت ما لا يصحّ في عقل، ولا يقع في وهم"[15]. إنّ رؤية الجرجانيّ في تحقيق الصّورة المعنويّة لدى المُخَاطَب؛ تتمثّل في طبيعة نظم الكلام؛ الذي ضرورة يجب أن يحتوي على مخبر به (المتحدّث)، ومخبر عنه (المحمول في معنى الكلام). حيث يكون المخبر به والمخبر عنه؛ كلاهما متعلّق بدور المتكلّم، أمّا إشارته إلى أساليب النّفي والإثبات فيما يتعلّق بالمعنى؛ فهو ممّا له علاقة بالسّامع، وما يقوم في ذهنه من تصوّر صحيح للمعنى، وما يؤيّد هذا، قوله: "أم هل يعقل السّامع منه شيئًا إنْ هو لم يعتقد ذلك؟. –أي معنى الكلام– فإنّه ممّا لا يبقى معه لعاقل شكّ أنّ الخبر معنى لا يتصوّر إلّا بين شيئين، يكون أحدهما مثبّتا والآخر مثبّتا له، أو يكون أحدهما منفيّا والآخر منفيّا عنه، وأنّه لا يتصوّر مثبّت من غير مثبّت له، ومنفيّ من دون منفيّ عنه، ولمّا كان الأمر كذلك أوجب ذلك أن لا يعقل؛ إلّا من مجموع جملة فعل واسم كقولنا:

---

[14]–عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمّد رضوان الدّاية وفايز الدّاية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، سنة النّشر: (2007م)، ص480.

[15]–المصدر نفسه، ص480.

(خرج زيد)، أو اسم واسم؛ كقولنا: (زيد منطلق). فليس في الدّنيا خبر يعرف من غير هذا السّبيل، وبغير هذا الدّليل، وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وأمّة، وحكم يجري عليه الأمر في كلّ لسان ولغة"[16]، فقد جمع الجرجانيّ معاني الكلام في خانة 'الخبر' (المسند) والمسند في علاقة الإسناد؛ هو ركن متمّم وموضّح للمسند إليه، وهو الذي يصطلح عليه بالمخبر عنه، وبه يتمّ معنى الكلام. وتصحّ عليه الاستقامة في ذهن السّامع؛ كونه يفكّ الإبهام وتحصل به فائدة النّظم من مراد المُخَاطَب (مصدر الكلام) وعلى هذا يتّضح قصد عبد القاهر من خلال نصّه الذي أبدى فيه حرصه على انسجام العلاقة التّركيبيّة بين (توخّي معاني النّحو) مع العلاقة الأدائيّة؛ التي (تحقّق معانيّ النّظم) وهذا مجمل قوله في انتظام معاني الكلام: "ومن الثّابت في العقول، والقائم في النّفوس أنّه لا يكون خبر حتّى يكون مخبر به، ومخبر عنه"[17]؛ أي أنّ ذات المتكلّم وذات السّامع (حين النّطق)؛ هما ميزان الاتّفاق في الحكم على سلامة المعنى، وتناسق الأداء الذي يكون وفق أسلوب يراعي: (الانتقاء، والاختيار والمناسبة)؛ وهنا يكمن معنى كلام الجرجانيّ في عبارته 'المُخْبِر به والمُخْبَر عنه'، فالمخبر به: هو المتكلّم، وهو النّاظم للكلام سواء صحّت تراكيبه، أم لا، والمخبر عنه: هو المحمول في خبر المتكلّم، والمقصود له بتحقيق معنى الكلام، بل إنّ العمليّة الكلاميّة؛ تقوم عليه وتستهدفه، وحينئذ يكون الحكم على استقامة المعنى وإفادته عبر القناة المستقبلة التي تعدّ الرّكن الثّاني في عمليّة التّواصل، ونقصد بها 'السّامع' فدوره محدّد للحكم على الأداء الوظيفيّ للكلام من خلال ردّة فعله بعد تلقّيه الرّسالة الخطابيّة. ونقف هنا على ذكر مميزات العلاقة الجامعة بين المتكلّم والسّامع:

-قدرة المتكلّم وتفنّنه في الأداء، وهذا ما يصطلح عليه بتوظيف الصّور الفنّيّة البلاغيّة؛ كون الكلام انتقل من الوظيفة النّحويّة التّركيبيّة إلى الوظيفة الأدائيّة.

---

[16]-المصدر نفسه، ص480/481.

[17]- المصدر نفسه، ص480.

-استعداد السّامع ذهنيّا ولغويّا لتلقّي الكلام؛ لأنّ الحكم بحقّ الصّواب النّحويّ، وقوّة الأداء البلاغيّ يستند إلى إمكانات المُتَحدَّث إليه من قدرات ذهنيّة ومعرفيّة.

-نجاح عمليّة التّواصل اللّغويّ بين المُخَاطِب والمُخَاطَب؛ تتوقّف على وسائل ووسائط حسّية (المقام)، ومعنويّة (أسلوب التّواصل)؛ حسن الأداء، ومراعاة حالة المتكلّم. والوقوف على "الأغراض التي يلقى من أجلها الخبر...لنراعي أحوال المَخَاطَبِين الذين تتحدّث إليهم...أي كيف نراعي المقامات التي نتحدّث فيها"[18].

(6)-تجلّي رؤية عبد القاهر للجانب العرفنّي في تحليل الخطاب: وهذا ما نلحظه حين نستقرأ معاني كلامه في شرح صور الخطاب؛ حيث يشترط فيه توخّي مبدأ الفهم المشترك بين المتكلّم (صاحب الخطاب) والسّامع (المعنيّ بالخطاب) وهو 'الوعي' بمعاني الكلام المحمول في نصّ الخطاب؛ بحيث لا يخرج القائل المتكلّم عن معاني نظمه؛ بمعنى لا يحدث استغرابا أو تهكّما في ذهن المتلقّي لعدم وضوح المعنى، وقد أشار علماء اللّغة قديما وحديثا إلى أهميّة هذا المقياس المعنويّ وهو دليل البعد العرفانيّ للنّصّ الخطابيّ التّواصليّ واعتبروه من شروط نجاح الخطاب[19]، فقد أشار إليه الجرجانيّ في شرحه لمعاني النّحو، فقال: "ليس النّظم شيئا إلّا توخّي معانيّ النّحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم وأنّك قد تبيّنت أنّه إذا رفع معاني النّحو وأحكامه ممّا بين الكلم حتّى لا تراد فيها في جملة ولا تفصيل؛ خرجت الكلم المنطوق ببعضها في إثر بعض في البيت من الشّعر والفصل من النّثر عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتض[20]، وعن أن يتصوّر أن يقال في كلمة منها: إنّها مرتبطة بصاحبة لها، ومتعلّقة بها، وكائنة بسبب منها وأنّ حسن تصوّرك لذلك قد ثبت فيه قدمك، وملأ من الثّقة نفسك، وباعدك من أن تحنّ إلى الذي كنت عليه وأن يجرك الإلف

---

[18]- فضل حسن عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للطّباعة والنّشر، عمّان، الأردن، ط4، (1417هـ، 1997م)، ص113.

[19]-فالخطاب له مقاييسه التي يتمّ بها معرفة طبيعة الأداء وقيمته في الكلام.

[20]-بمعنى هناك ضرورات ودواعي يستعمل فيها اللّفظ لغاية محدّدة من استعماله.

والاعتياد إليه، وأنّك جعلت ما قلناه نقشا في صدرك، وأثبتّه في سويداء قلبك، وصادقت بينه وبين نفسك"[21]. فيكون سياق التّواصل تحكمه ضوابط من بينها الفهم والإدراك والقدرة على الاستيعاب حيث تقتضي الضّرورة استعمال ميزان "الكلمات بحسب ملاءمتها، أو عدم ملاءمتها للمواقع التي تحتلّها في السّياق التّعبيريّ"[22]؛ فإن تلاءمت تستعمل. وإن كان العكس تحذف أو لا تنطق في ذلك السّياق؛ حيث قد يكون لها سياق آخر تتلاءم معه، وهذا ما قصده الجرجانيّ –رحمه الله– في قوله: "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النّطق، بل أنْ تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها بالوجه الذي اقتضاه العقل"[23]؛ ولا ريب أنّه يقصد الفهم والاستيعاب، ومدى قدرة المتلقّي على إدراك معاني المتكلّم؛ وكلّ هذا دليل البعد الإدراكي التي تقابله دلالة العرفانيّة اللّسانيّة.

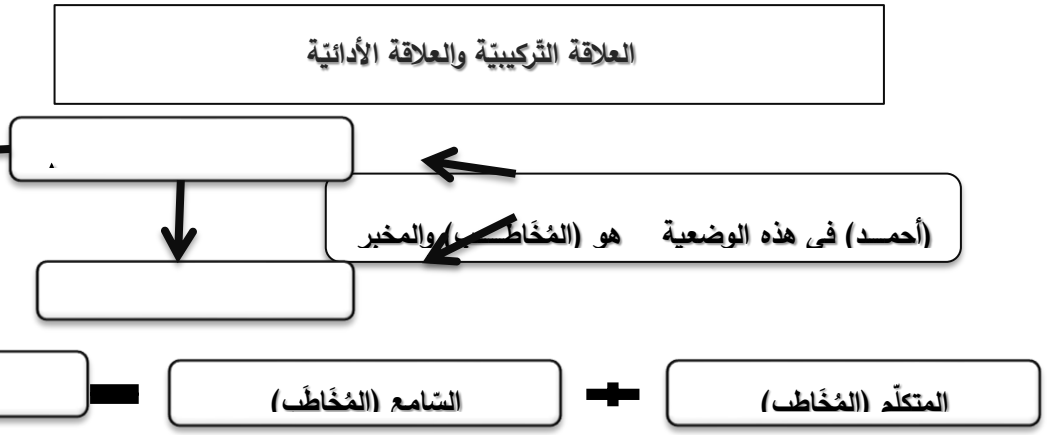
(7)–البعد العرفنّي في تحليل الجرجانيّ للعلاقة التّخاطبيّة: في العنصر نظهر البعد العرفّني في تحليل عبد القاهر لصور الخطاب المختلفة لنذكر أهمّ ما تميّزه رؤيته في شرح هذا الإجراء:

–مخطّط تمثيليّ توضيحيّ (رقم 1): ويندرج فيه الشّكل البياني التي يتناول العلاقة التّركيبيّة والعلاقة الأدائيّة التي يبنى عليها نصّ الخطاب، وفيه ما يلي:

[21]– عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص480/479.

[22]– حسن طبل، علم المعانيّ في الموروث البلاغيّ تأصيل وتقييم، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط2، (1425هـ، 2004م)، ص29.

[23]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص98.



<u>–قراءة وتحليل للمخطّط رقم 1</u>: حين نتتبّع رؤية عبد القاهر النّحويّة نرى العمق المعنويّ للجانب المعرفيّ في تحليله فالعلاقة التّركيبيّة عنده ليست علاقة مجرّدة من أيّ إيحاءات ذهنيّة، بل لها شقّها الفكريّ التي تعبّر عنه دلالات التّركيب فقد ذكرنا في هذا المخطّط تداخل الجانب الأدائيّ مع الجانب التّركيبيّ؛ كونهما ينطلقان لهدف واحد[24]؛ وهو تحقيق المعنى الصّحيح للّفظ والتّركيب معا؛ وهذا ما ترمي إليه العمليّة التّواصليّة. وحين نقف على توصيف وتحليل معاني قوله الآتي: "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النّطق، بل أنْ تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها بالوجه الذي اقتضاه العقل"[25]؛ نجد أنفسنا أمام وجه شبه حقيقا بين ما تقرّه النّظريات العرفانيّة في طابعها الحديث وبين ما اتصفت به نظريّة الجرجانيّ النّحوية من دلالات فكريّة، فهو يرى أنّ الغرض من الكلام هو إيصال المعنى المعقول الذي يقرّه ذهن المستمع وهذا طبعا ينبثق من مكوّنات الفكر والمعرفة التي يتّصف بها حتما طرفا الكلام[26]، فهما من يمتلكان مفاتيح الفهم والاستيعاب والقدّرة على التّواصل من خلال من تقرّه أذهانهم من دلالات المعاني المتناسقة مع أدوات الاتّصال.

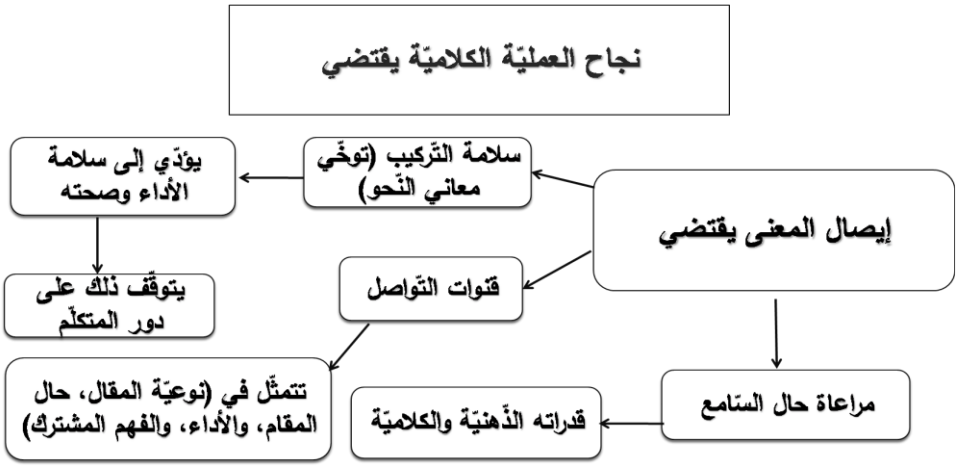
---

[24]–الهدف المشترك بينهما هو إنجاح التّواصل وتحقيق الغاية المنشودة من الأداء الكلاميّ وهو التّواصل الجيّد والسّليم في المعنى.

[25]–عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص98.

[26]–طرفا الكلام هما المتكلّم والسّامع معا وكلّ دلالات الخاطب تقع عليهما.

-مخطّط تمثيليّ توضيحيّ (رقم 2): ويندرج فيه الشّكل البياني التي يوضح أساسيات نجاح العمليّة الكلاميّة التّخاطبيّة ضمت حيز الاستعمال، وفيه ما يلي:



-قراءة وتحليل للمخطّط رقم 1: نرى في تحليل رؤية عبد القاهر للعلاقة التّواصليّة بين المُخاطِب والمُخَاطَب بعدا فكريّا ومعرفيّا واضحا؛ فهو يعطي الاستعمال اللّغويّ مرجعا ذهنيّا[27] ينطلق منه المتكلّم في إيصال غرضه من الكلام، وكذلك نفس الشّيء مع السّامع حيث تكون قاعدة فكريّة ذهنيّة يفسّر من خلال ما يتلقّاه من الكلام، وهنا يمكن البعد العرفانيّ لدلالات استعمال معانيّ الكلام من خلال طرفيّ التّواصل معا، وما يثبّت قولنا في هذا الجانب، قول الجرجانيّ فيما شرح أسلوب الخبر: "ومن الثّابت في العقول والقائم في النّفوس أنّه لا يكون خبرا حتّى يكون مخبرا به، ومخبرا عنه؛ لأنّه ينقسم إلى إثبات ونفي، والإثبات؛ يقتضي مثبّتا ومثبّتا له والنّفي؛ يقتضي منفيّا ومنفيّا عنه. فلو حاولت أن تتصوّر إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبّت له ومنفيّ عنه؛ حاولت ما لا يصحّ في عقل، ولا يقع في وهم"[28]؛ في شرحه لدلالات استعمال أسلوب نرى أنّه يضبطه

[27]-المرجع الذّهنيّ هو الخلفيّة الفكريّة التي يتصوّر بها شكل الكلام.

[28]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص480/481.

بحدود لغويّة وفكريّة[29]؛ حيث لا يمكن أن ينسج بها المتكلّم هدفه من هذا الأسلوب دون التزامها، وهذا ما نستنتجه في عبارته: (لا يكون خبرا حتّى يكون مخبرا به ومخبرا عنه)، أي هناك لوازم سياقيّة تفرض وجود ثنائيّات كلاميّة متناسقة؛ (كالمُخْبِرِ والمُخْبَرُ) مثلا حتّى يتّم الحكم على طبيعة الخبر ومعرفة صحّته. وكلّ ذلك يحمل دلالات واضحة وجليّة على البعد العرفانيّ في رؤية الجرجانيّ.

(8)-خلاصة ونتائج: نقف هنا استجماعا لأهمّ ما توصّلنا إليه في تحليل هذا الطّرح المعرفيّ المهمّ الذي درسنا فيه التّصوّرات المعرفيّة والفكريّة للّسانيّات العرفانيّة وبحثنا فيه عن العمق التّاريخيّ الملموس في نظريّة النّظم لعبد القاهر الجرجانيّ، وفيه نلخّص الأفكار الاستنتاجيّة الآتية:

-تنطلق اللّسانيّات العرفانيّة من الأبعاد الفكريّة والرؤى المعرفيّة التي يمتلكها الفرد والجماعة في تواصلهم الكلاميّ؛ فهي تمثّل الأنساق القاعديّة التي تنسج بها صور الكلام المختلفة.

-تجمع في تحليلها اللّسانيّ بين الجانب الفكريّ والجانب الكلاميّ؛ بل اللّغة المستعملة في نظرهم هي مجموعة أفكار مصدرها الذّات المتشبعة من القيم والمجتمع وغير ذلك من المؤثّرات المختلفة.

-نظريّة الجرجانيّ نظريّة تحمل من دلالات المعرفة ما يجعلها تتواصف مع أهمّ النّظريّات اللّسانيّة الحديثة؛ فهي ذات عمق فكريّ يتجاوب مع أسمى ما ترمي المناهج اللّسانيّة الغربيّة في طابعها الحديث والمعاصر كالتّداوليّة والوظيفيّة وغيرهما. اللّذان يسعيان إلى "وضع نموذج للمعرفة اللّغويّة -من خلال تجسيد- قدرة مستعملي اللّغات

[29]-الحدود اللّغويّة تمثّل التّركيب والحدود الفكريّة تمثّل المعنى.

الطّبيعية للتّواصل...فهو – برأيهم نموذج يمثل الملكات اللّغويّة وغير اللّغويّة المساهمة في عملية التّواصل؛ إنتاجا وفهما"[30].

–نستطيع القول أنّ منهج اللّسانيّات العرفانيّة هو منهج حسّي معنويّ يقع على دراسة الجانب الذّهنيّ والمعرفيّ للغة أكثر من دراسة الجوانب التركيبيّة والبنيويّة والصّوتيّة، وهو هنا بخلاف عن ظرة عبد القاهر الجرجانيّ الشموليّة حيث جمع بين الجانبين الحسّي المعنويّ والتّركيبيّ الأدائيّ.

–يتجلّى البعد العرفانيّ عند عبد القاهر في تحليله لنظريّة التّواصل بين طرفي الكلام المُخَاطِب والمخُاطَب؛ فهو يربط معاني الأداء بالجانب الفكريّ والخلفيّة الذّهنيّة لكلّ واحد منهما، وهنا تظهر الصّورة المشتركة بين نظريّة الجرجانيّ وبين نظريّة اللّسانيات العرفانيّة في تحليل نمطيّة التّواصل الكلاميّ.

–تشترك النّظريتان في إقرار دور المجتمع بمختلف أشكاله في بناء النّسق الفكريّ للأداء الكلاميّ، وهذا التّوافق كون النّظريتين تنطلقان من البعد الإنسانيّ المشترك في دراسة ظواهر اللّغة بأبعادها المختلفة.

(9)–المصادر والمراجع:

1–حسن طبل، علم المعانيّ في الموروث البلاغيّ تأصيل وتقييم، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط2، (1425هـ، 2004م).

2–صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومه للطّباعة والنّشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، (د، ط)، 2004م.

[30]– أحمد المتوكّل، التّركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات، مكتبة دار الإيمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2005م، ص49.

3-فضل حسن عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للطّباعة والنّشر، عمّان، الأردن، ط4، (1417هـ، 1997م).

4-عبد الكريم جيدور الّسانيّات العرفانيّة ومشكلات تعليم اللّغات واكتسابها، مجلّة العلامة، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد5، ديسمبر، 2017م.

5-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمّد رضوان الدّاية وفايز الدّاية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 2007م.

6-عيسى الشمّاس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريّة، 2004م.

7-محمّد علي التّهانويّ، كشّاف اصطلاحات الفنون، تحقيق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

8-منانة حمزة صفاقسي، الدّلالة العرفانيّة الإدراكيّة وتراجع دور التّركيب (الإعراب في إنتاج الكلام وتأويله)، مجلّة اللّسانيّات العربيّة، مجلّة علميّة محكّمة تصدر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّوليّ لخدمة اللّغة العربيّة، العدد2، ذو القعدة 1436هـ، سبتمبر 2015م.

9-يوسف وسطاني، الإسناد في نمطيه النّحويّ والبلاغيّ، مجلّة التّراث العربيّ، مجلّة فصليّة محكّمة، إتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريّة العدد114، (1430هـ، 2009م).

10- أحمد المتوكّل، التّركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات، مكتبة دار الإيمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2005م.